

قصص وعبر

(الجزء الأول)

جمع وترتيب
محمود المصرى
أبو عمار

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع	١٦٩٧٣/ ٢٠٠٣

الناشر
مؤسسة قرطبة
٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة
ت : 7771039 -012/7739241

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ــ ٧١). أما بعد:

أما بعد فإن للقصة أثرًا عميقًا فى النفوس؛ لما تحتويه من عناصر التشويق، وجوانب الاعتبار والاتعاظ، وهى وسيلة

يستخدمها الدعاة، والهداة، والمصلحون للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم؛ كى يرتقوا بهم من الظلمات إلى النور، ويأخذوا بأيديهم إلى الطريق القويم، فيسلموا وجوههم لله عز وجل.

ولا ينتفع بهذا القصص إلا أصحاب القلوب التقية النقية وأصحاب الفطر والعقول السوية.. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

فمن خلال القصص تظهر السنن الربانية واضحةجلية حيث يجعل الله (عز وجل) النصر والتمكين للمؤمنين ويجعل الهلاك والعذاب والنكال للكافرين والمكذبين كما قال رب العالمين: ﴿وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِى هَـٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠).

فالقصص وسيلة عظيمة من وسائل تربية الأمة وتثبيتها على طريق الحق.

- **ومن أهداف القصص:**

* تنبيه الإنسان من الغفلة والرقود، وإبعاده عن مهاوى الانحراف، والسقوط.
* التحذير من أخطار البعد عن الاستقامة، والصلاح، والحق.
* تصويب مناهج الآداب والسلوك، والدفع إلى الحياة

الإيجابية بهمة وعزيمة.

* تصحيح العقيدة، وغرس بذور الإيمان بالله ربا واحدًا.
* تربية النفس، وتقويم السلوك، وغرس الشعور الفياض بالإيمان المتوقد بمشاعر الود والخير.
* التذكير بأحداث الأمم الغابرة والأقوام البائدة، الذين تنكبوا عن صراط الهداية، وهدى الأنبياء والمصلحين.
* بيان حسن عاقبة المؤمنين؛ الذين ثبتوا على الحق، وابتعدوا عن الباطل، وتابوا توبة صادقة، وشكروا الله على نعمه؛ بأن استعملوها فيما يرضى الله تعالى.
* بيان سوء عاقبة المكذبين؛ الذين أصروا على كفرهم واستحبوا العمى على الهدى، وجحدوا نعم الله بأن استعملوها فيما يسخط الله عز وجل [١].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك السلسلة الجديدة (قصص وعبر) عسى الله أن يوقظ بها قلوبنا من غفلتها وأن يرزقنا حسن الخاتمة وأن يجمعنا فى الجنة إخوانًا على سرر متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

(١) قصص القرآن/ مجموعة علماء (ص: ٧، ٨) ط. مكتبة التربية.

التوبة الصادقة

كان يقطن مدينة الرياض يعيش فى ضياع ولا يعرف الله إلا قليلاً، منذ سنوات لم يدخل المسجد، ولم يسجد لله سجدة واحدة، ويشاء الله ـ عز وجل ـ أن تكون توبته على يد ابنته الصغيرة!

يروى القصة فيقول:

كنت أسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء فى لهو ولعب وضياع تاركًا زوجتى المسكينة، وهى تعانى من الوحدة والضيق والألم، ما الله به عليم، لقد عجزت عنى تلك الزوجة الصالحة الوفية، فهى لم تدخر وسعًا فى نصحى وإرشادى ولكن دون جدوى.

وفى إحدى الليالى، جئت من إحدى سهراتى العابثة، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا، فوجدت زوجتى وابنتى الصغيرة وهما تغطان فى سبات عميق، فاتجهت إلى الغرفة المجاورة لأكمل ما تبقى من ساعات الليل فى مشاهدة بعض الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو، تلك الساعات التى ينزل فيها ربنا عز وجل، فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟..».

وفجأة، فُتح باب الغرفة، فإذا هى ابنتى الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة، نظرت إلى نظرة تعجب واحتقار، وبادرتنى قائلة: عيب عليك يا والدى اتق الله (رددتها ثلاث مرات)، ثم

أغلقت الباب وذهبت، أصابنى ذهول شديد، فأغلقت جهاز الفيديو، وجلست حائرًا وكلماتها لا تزال تتردد فى مسامعى وتكاد تقتلنى، فخرجت فى إثرها فوجدتها قد عادت إلى فراشها، أصبحت كالمجنون، لا أدرى ما الذى أصابنى فى ذلك الوقت وما هى إلا لحظات حتى انطلق صوت المؤذن من المسجد القريب ليمزق سكون الليل الرهيب، مناديًا لصلاة الفجر.

توضأت، وذهبت إلى المسجد، ولم تكن لدى رغبة شديدة فى الصلاة، وإنما الذى كان يشغلنى ويقلق بالى كلمات ابنتى الصغيرة.

وأقيمت الصلاة، وكبر الإمام، وقرأ ما تيسر له من القرآن، وما إن سجد وسجدت خلفه ووضعت جبهتى على الأرض حتى انفجرت ببكاء شديد لا أعلم له سببًا، فهذه أول سجدة أسجدها لله عز وجل منذ سبع سنين.

كان ذلك البكاء فاتحة خير لى، لقد خرج مع ذلك البكاء كل ما فى قلبى من كفر ونفاق وفساد، وأحسست بأن الإيمان بدأ يسرى بداخلى.

وبعد الصلاة جلست فى المسجد قليلاً ثم رجعت إلى بيتى فلم أذق طعم النوم حتى ذهبت إلى العمل، فلما دخلت على صاحبى استغرب حضورى مبكرًا، فقد كنت لا أحضر إلا فى ساعة متأخرة بسبب السهر طوال ساعات الليل، ولما سألنى عن

السبب أخبرته بما حدث لى البارحة، فقال: حمد الله أن سخر لك هذه البنت الصغير التى أيقظتك من غفلتك، ولم يرسل إليك ملك الموت ليقبض روحك على تلك الحالة.

ولما حان وقت صلاة الظهر كنت مرهقًا، حيث لم أنم منذ وقت طويل، فطلبت من صاحبى أن يتسلم عملى، وعدت إلى بيتى لأنال قسطًا من الراحة، وأنا فى شوق لرؤية ابنتى الصغيرة التى كانت سببًا فى هدايتى ورجوعى إلى الله[1].

قال: ورجعت إلى البيت وأنا فى شوق شديد لرؤية تلك الابنة المباركة، فكنت أشعر بأن أقدامى تسابق الريح. فلما وصلت البيت وجدت زوجتى واقفة أمام باب المنزل ـ على غير عادتها ـ وصرخت فى وجهى قالت: أين كنت؟ قلت: كنت فى العمل. قالت: اتصلنا بك كثيرًا فلم نجدك فأين كنت؟

قال: كنت فى المسجد الذى فى مكان العمل، فما الذى حدث، وما الذى جعلك تقفين أمام الباب فى تلك الساعة؟

قالت: لقد ماتت ابنتك.

قال الرجل: لم أتمالك نفسى من هول الصدمة فانفجرت فى البكاء، ولم أتذكر إلا كلمتها: «عيب عليك يا والدى اتق الله، عيب عليك يا والدى اتق الله».

قال: اتصلت على صاحبى وقلت له: لقد ماتت ابنتى التى

---

(١) العائدون إلى الله. محمد عبد العزيز المسند (ص: ٢٢٧ ـ ٢٢٨) بتصرف.

جعلها الله سببًا لخروجى من الظلمات إلى النور.

فجاء صاحبه إليه مسرعًا، ودخل الرجل فغسل ابنته وكفنها وذهبوا بها إلى المسجد فصلوا عليها ثم ذهبوا إلى المقبرة فقال له صاحبه: خذ ابنتك وضعها تحت التراب.

فكل باك فسيبكى   وكل ناع فسينعى
وكل مذخور سيفنى   وكل مذكور سينسى
ليس غير الله يبقى   من علا فالله أعلى

فأخذ الرجل ابنته ودفنها وهو يقول للناس من حوله: والله أنا لا أدفن ابنتى، وإنما أدفن النور الذى أضاء لى الطريق إلى الله (جل وعلا) هذه البنت جعلها الله سببًا لهدايتى وأنا أسأل الله أن يجمعنى بها فى جنته.

فبكى الناس من حوله بكاءً مريرًا حتى كادت قلوبهم أن تتقطع حزنًا على تلك الابنة المباركة.

وهكذا أيها الإخوة الكرام، لا يدرى الإنسان متى يأتيه ملك الموت، الموت لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

فلنسرع الخطا إلى الله ولنعلنها توبة صادقة عساها أن تكون آخر ساعة فى العمر ويكون الجزاء فى جنة الرحمن.

إن تصدق الله يصدقك

عن شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ههنا، وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبى ﷺ : «أهو هو؟». قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفنه النبى ﷺ فى جبة النبى ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك» (صحيح الجامع: ١٤١٥).

نعم والله: ما أجمل أن يصدق العبد مع الله (جل وعلا).

فلو جاء العبد يوم القيامة بقليل من العمل مع كثير من الصدق والإخلاص لكان أفضل من أن يأتى بكثير من العمل بغير صدق ولا إخلاص.

أيها الأخ الحبيب: ألا تعلم أنك قد تصل إلى مرتبة الشهداء بالنية الصادقة وإن متَّ على فراشك قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

الرحيم (جل وعلا) لا يرد من رجاه

كان هناك رجل سكِّير دعا قومًا من أصحابه ذات يوم فجلسوا ثم نادى على خادمه ودفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئًا من الفاكهة للمجلس. وفى أثناء سير الخادم مر بالزاهد منصور بن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات، فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك. فقال الغلام: لى سيد قاس أريد أن أتخلص منه، والثانية أن يخلف الله على الدراهم الأربعة، والثالثة أن يتوب الله على سيدى، والرابعة أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم، فدعا له منصور ابن عمار، وانصرف الغلام ورجع إلى سيده الذى نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقص عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات، فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتك الأولى؟قال: سألت لنفسى العتق من العبودية. فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حر لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟ قال: أن يخلف الله على الدراهم الأربعة. قال السيد: لك أربعة آلاف درهم. قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟ قال: أن

يتوب الله عليك. فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كئوس الخمر وكسرها، وقال: تبت إلى الله لن أعود أبدًا وقال: فما كانت دعوتك الرابعة؟ قال: أن يغفر الله لى ولك وللقوم. قال السيد: هذا ليس إلى وإنما هو للغفور الرحيم فلما نام السيد تلك الليلة سمع هاتفًا يهتف به أنت فعلت ما كان إليك. أتظن أنا لا نفعل ما كان إلينا؟ لقد غفر الله لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولكل الحاضرين.

الوقت هو الحياة

إن أغلى ما يمتلكه العبد فى تلك الحياة هو الوقت، فالوقت هو الحياة وهو الكنز الحقيقى؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة فما تزرعه هنا ستحصد ثماره هناك، ولذا كان النبى ﷺ يحض أمته دائمًا على اغتنام كل لحظة فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ - كما عند البخارى - : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» وقال ﷺ : «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك» (صحيح الجامع: ١٠٧٧).

قال الحسن البصرى: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه.

يقول صاحب هذه القصة:

طفلى الصغير منذ مساء أمس وصحته ليست على ما يرام،

عندما عدت مساء هذا اليوم من عملى قررت الذهاب به إلى المستشفى، رغم التعب والإرهاق إلا أن التعب لأجله راحة، حملته وذهبت لقد كان المنتظرون كثيرًا، ربما نتأخر أكثر من ساعة، أخذت رقمًا للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس فى غرفة الانتظار.

وجوه كثيرة مختلفة، فيهم الصغير والكبير، الصمت يخيم على الجميع، يوجد عدد من الكتيبات الصغيرة استأثر بها بعض الإخوة.

أجلت طرفى فى الحاضرين، البعض مغمض العينين لا تعرف فيم يفكر، آخر يتابع نظرات الجميع، آخرون تحس على وجوههم القلق والملل من الانتظار.

يقطع السكون الطويل، صوت المنادى، برقم كذا... الفرحة على وجه المنادى، يسير بخطوات سريعة، ثم يرجع الصمت للجميع.

لفت نظرى شاب فى مقتبل العمر لا يعنيه أى شىء حوله، لقد كان معه مصحف جيب صغير، يقرأ فيه لا يرفع طرفه، نظرت إليه ولم أفكر فى حاله كثيرًا لكننى عندما طال انتظارى عن ساعة كاملة تحول مجرد نظرى إليه إلى تفكير عميق فى أسلوب حياته ومحافظته على الوقت.

ساعة كاملة من عمرى ماذا استفدت منها وأنا فارغ بلا عمل

ولا شغل، بل انتظار ممل.

أذن المؤذن لصلاة المغرب، ذهبنا للصلاة.

فى مصلى المستشفى، حاولت أن أكون بجوار صاحب المصحف بعد أن أتممنا الصلاة سرت معه وأخبرته مباشرة بإعجابى به من محافظته على وقته.

وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التى لا نستفيد منها إطلاقًا وهى أيام وليالى تنقضى من أعمارنا دون أن نحس أو نندم.

قال.. إنه أخذ مصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط عندما حثه صديق له بالمحافظة على الوقت.

وأخبرنى.. أنه يقرأ فى الأوقات التى لا يستفاد منها كثيرًا أضعاف ما يقرأ فى المسجد أو فى المنزل بل إن قراءته فى المصحف زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله تقطع عليه الملل والتوتر، وأضاف محدثى قائلاً: إنه الآن فى مكان الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف.

وسألنى: متى ستجد ساعة ونصف لتقرأ فيها القرآن، تأملت كم من الأوقات تذهب سدى، كم لحظة فى حياتك تمر ولا تحسب لها حساب، بل كم من شهر يمر عليك ولا تقرأ القرآن، أجلت ناظرى وجدت أنى محاسب والزمن ليس بيدى فماذا أنتظر؟ قطع تفكيرى صوت المنادى، ذهبت إلى الطبيب أريد أن

أحقق شيئًا الآن.

بعد أن خرجت من المستشفى، أسرعت إلى المكتبة اشتريت مصحفًا صغيرًا. قررت أن أحافظ على وقتى، فكرت وأنا أضع المصحف فى جيبى كم من شخص سيفعل ذلك. وكم من الأجر العظيم يكون للدال على ذلك[1].

أينما تكونوا يدرككم الموت

ذكرت جريدة «القصيم» - وهى جريدة قديمة كانت تصدر فى البلاد - ذكرت أن شابًا فى دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة فى الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية فى أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملاً منها أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتًا فى فراشه.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨).

---

(١) الزمن القادم (ص: ٢٠ - ٢٢).

ذكر الشيخ على الطنطاوى فى سماعاته ومشاهداته: أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة لورى، فركب معه رجل فى ظهر السيارة، وكان فى ظهر السيارة نعش مهيأ للأموات، وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة، فأمطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل فى النعش وتغطى بالشراع، وركب آخر فصعد فى ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أن فى النعش أحدًا، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثانى يظن أنه وحده فى ظهر السيارة، وفجأة يخرج هذا الرجل يده من النعش، ليرى: هل كف الغيث أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها، فأخذ هذا الراكب الثانى الهلع والجزع والخوف، وظن أن هذا الميت قد عاد حيًا، فنسى نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أم رأسه فمات.

الحياة الطيبة

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

يقول أحد أذكياء الإنكليز: بإمكانك وأنت فى السجن من وراء القضبان الحديدية، أن تنظر إلى الأفق، وأن تخرج زهرة من جيبك فتشمها وتبتسم، وأنت مكانك، وبإماكنك وأنت فى القصر على الديباج والحرير، أن تحتد وأن تغضب وأن تثور

ساخطًا من بيتك وأسرتك وأموالك.

إذن السعادة ليست فى الزمان ولا فى المكان، ولكنها فى الإيمان، وفى طاعة الديان، وفى القلب. والقلب محل نظر الرب، فإذا استقر اليقين فيه، انبعثت السعادة، فأضفت على الروح وعلى النفس انشراحًا وارتياحًا، ثم فاضت على الآخرين، فصارت على الظراب وبطون الأدوية ومنابت الشجر.

أحمد بن حنبل عاش سعيدًا، وكان ثوبه أبيض مرقعًا، يخيطه بيده، وعنده ثلاث غرف من طين يسكنها، ولا يجد إلا كسر الخبز مع الزيت، وبقى حذاؤه - كما قال المترجمون عنه - سبع عشرة سنة يرقعها ويخيطها، ويأكل اللحم فى شهر مرة ويصوم غالب الأيام، يذرع الدنيا ذهابًا وإيابًا فى طلب الحديث، ومع ذلك وجد الراحة والهدوء والسكينة والاطمئنان؛ لأنه ثابت القدم، مرفوع الهامة، عارف بمصيره، طالب لثواب، ساع لأجر، عامل لآخرة، راغب فى جنة.

وكان الخلفاء فى عهده - الذين حكموا الدنيا - المأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل، عندهم القصور والدور والذهب والفضة والبنود والجنود والأعلام والأوسمة والشارات والعقارات، ومعهم ما يشتهون، ومع ذلك عاشوا فى كدر، وقضوا حياتهم فى هم وغم، وفى قلاقل وحروب وثورات

وشغب وضجيج، وبعضهم كان يتأوه فى سكرات الموت نادمًا على ما فرط، وعلى ما فعل فى جنب الله.

ابن تيمية شيخ الإسلام، لا أهل ولا دار ولاأسرة ولا مال ولا منصب، عنده غرفة بجانب جامع بنى أمية يسكنها، وله رغيف فى اليوم، وله ثوبان يغير هذا بهذا، وينام أحيانًا فى المسجد، ولكن كما وصف نفسه جنته فى صدره، وقتله شهادة، وسجنه خلوة، وإخراجه من بلده سياحة؛ لأن شجرة الإيمان فى قلبه استقامت على سوقها، تؤتى أكلها كل حين، بإذن ربها، يمدها زيت العناية الربانية ﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥)[١].

سفينة النجاة

يقول أحدهم خرجت ذات يوم، وفى إحدى الطرق الفرعية الهادئة قابلنى شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرنى لأنه كان مشغولاً بملاحقة بعض الفتيات فى تلك الطريق الخالية من المارة، كنت مسرعًا فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد قلت فى نفسى أأعود فأنصح ذلك الشاب؟ أم أمضى وأدعه يفعل ما يشاء؟ وبعد صراع داخلى دام عدة ثوان فقط اخترت الأمر الأول، عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن،

(١) لا تحزن (ص: ٣٠٣ ـ ٣٠٥) بتصرف.

ينتظر منهم نظرة أو التفاتة، فدخلن فى أحد البيوت.

أوقفت سيارتى بجوار سيارته، ونزلت واتجهت إليه، سلمت عليه أولاً، ثم نصحته، فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو بناتك أو قريباتك، فهل ترضى لأحد من الناس أن يلاحقهن أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشىء من الخوف، فقد كان شابًا ضخمًا ممتلئ الجسم، كان يستمع إلى وهو مطرق الرأس لا يتكلم، وفجأة التفت إلى فإذا دمعة قد سالت على خده فاستبشرت خيرًا، وكان ذلك دافعًا لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف منى تمامًا فشددت عليه فى الحديث حتى رأيت أنى قد أبلغت فى النصيحة، ثم ودعته، لكنه استوقفنى وطلب منى رقم هاتفى وعنوانى وأخبرنى أنه يعيش فراغًا نفسيًا قاتلاً فكتبت له ما أراد، وبعد أيام جاءنى فى البيت، لقد تغير وجهه، وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشع نور الإيمان فى وجهه، جلست معه، فجعل يحدثنى عن تلك الأيام التى قضاها فى التسكع فى الشوارع والطرقات، وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (الزمر: ٥٣).

فانفرجت أسارير وجهه واستبشر، ثم ودعنى وطلب منى أن

أزوره، فهو فى حاجة إلى من يساعده على السير فى الطريق المستقيم، فوعدته بالزيارة، مضت الأيام وجعلت أسوف فى الزيارة، ولما وجدت فرصة ذهبت إليه وطرقت الباب، فإذا بشيخ كبير يفتح الباب وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده، سألته عن صاحبى أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، لقد مات، ثم استطرد قائلاً: حقًا إن الأعمال بالخواتيم، ثم أخذ يحدثنى عن حاله وكيف أنه كان مفرطًا فى جنب الله، بعيدًا عن طاعة الله، فمن الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان. فلما فرغ من حديثه، عزيته ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم، انتهت القصة!!

تأمل معى (أخى الحبيب): كيف أن تلك الكلمة الصادقة التى خرجت من فم هذا الأخ الكريم حين بذل النصيحة الغالية لأخيه المسلم كانت سببًا فى إيقاظه وغفلته وعودته إلى ربه (جل وعلا)، وكأن تلك الكلمة كانت بمثابة سفينة النجاة التى أنقذت هذا الشاب من بحار الفتن فعاد إلى شاطئ الطاعة ليلقى الله (عز وجل) تائبًا نادمًا مستغفرًا.

فاحرص على أن تبذل النصيحة لكل مسلم عسى الله أن ينفع بك وأن يجعل عملك فى ميزان حسناتك فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

بركة الصدق

ومن طرائف ما يروى فى تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة: يقول أحدهم: «بنيت أمرى من حين نشأت على الصدق، وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتنى أمى أربعين دينارًا أستعين بها على النفقة وعاهدتنى على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال لى: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أنى أهزأ به، فتركنى فرآنى رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته بما معى فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتنى أمى على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها!! فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!! ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

نعم أيها الأخ الحبيب: إن الصدق منجاة وإن العبد إذا كان صادقًا فإنه يجنى ثمار الصدق فى دنياه وآخرته.

أما سمعت قول الله (جل وعلا) ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ

الصَّادقينَ صدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩).

كن راضيًا عن الله

خرج رجل من بنى عبس يبحث عن إبله التى ضلت، فذهب والتمسها، ومكث ثلاثة أيام فى غيابه، وكان هذا الرجل غنيًا، أعطاه الله ما شاء من المال والإبل والبقر والغنم والبنين والبنات، وكان هذا المال والأهل فى منزل رحب، على ممر سيل فى ديار بنى عبس، فى رغد وأمن وأمان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبناؤه أن الحوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارًا

نام الأهل جميعًا كبارهم وصغارهم، معهم أموالهم فى أرض مستوية، ووالدهم غائب يبحث عن ضالته، وأرسل الله عليهم سيلاً جارفًا لا يلوى على شىء، يحمل الصخور كما يحمل التراب، ومر عليهم فى آخر الليل، فاجتاحهم جميعًا، واقتلع بيوتهم من أصلها، وأخذ الأموال معه جميعًا، وأخذ الأهل جميعًا، وزهقت أرواحهم مع تدفق الماء، وصاروا أثرًا بعد عين، فكأنهم لم يكونوا، صاروا حديثًا يتلى على اللسان.

وعاد الأب بعد ثلاثة أيام إلى الوادى، فلم يحس أحدًا،

ولم يسمع رافدًا، لا حى ولا ناطق ولا أنيس، المكان قاع صفصف، يا الله!! يا للداهية الدهياء!! لا زوجة لا ابن لا ابنة، لاناقة لا شاة لا بقرة، لا درهم لا دينار، لا ثوب لا شيء، إنها مصيبة!!

وزيادة فى البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فأعمى عينيه، وأخذ الرجل يصيح فى الصحراء عله أن يجد رجلاً يقوده إلى مكان يأوى إليه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابى آخر، فأتى إليه وقاده، وذهب به إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة فى دمشق، وأخبره الخبر، فقال: كيف أنت؟ قال: رضيت عن الله.

صنائع المعروف تقى مصارع السوء

قال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر (صحيح الجامع: ٣٧٩٧).

حُكى أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده. ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته، وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب

فقال الرجل لزوجته: «ادفعي إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها فسألها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول.

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهر السائل وطرده حدث له ما حدث. . . ولو كان رد السائل بلطف ورحمة أو أعطاه شيئًا يسيرًا فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم -

افعل الخير ولا تنشغل بالنتائج

إن المؤمن يفعل الخير ولا يشغل نفسه أبدًا بالنتائج فهو إذا تصدق فإنه يأخذ بالأسباب ويتحرى بصدقته من تزكو نفسه، بتلك الصدقة من الفقراء واليتامى والمساكين. . وهو فى الوقت نفسه يحسن الظن بالله (جل وعلا) أنه سيتقبل منه تلك الصدقة.

فإن لم تصل الصدقة إلى من يستحقها فعليه أن يحسن الظن بالله أنه سيتقبلها منه؛ لأنه بذل مافى وسعه وأخذ بالأسباب.

ولعل تلك القصة توضح ذلك:

قال ﷺ: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج

بصدقته فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غنى، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غنى! فأتى، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله» (متفق عليه).

قل هذه سبيلى

قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨).

فمن كان من أتباع الحبيب ﷺ فلا بد أن يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ.

وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هذه القصة التى نرى من خلالها حرص الدعاة على الدعوة إلى الله (جل وعلا).

سكن داعية مسلم شهير مدينة ميونخ الألمانية، وعند مدخل المدينة توجد لائحة كبرى مكتوب عليها بالألمانية: «أنت لا تعرف كفرات يوكوهاما» فنصب هذا الداعية لوحة كبرى بجانب هذ-

اللوحة كتب عليها: «أنت لا تعرف الإسلام، إن أردت معرفته، فاتصل بنا على هاتف كذا وكذا». وانهالت عليه الاتصالات من الألمان من كل حدب وصوب، حتى أسلم على يده فى سنة واحدة قرابة مائة ألف ألمانى ما بين رجل وامرأة، وأقام مسجدًا ومركزًا إسلاميًا، ودارًا للتعليم.

فاحرص أخى الحبيب على أن تكون داعيًا إلى الله بعلمك أو بحالك أو بأخلاقك فقد قال ﷺ: «ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير» (صحيح الجامع: ١٨٣٨).

ومن يؤمن بالله يهد قلبه

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

فهذا كاتب أمريكى لامع، اسمه «بودلى» مؤلف كتاب «رياح على الصحراء»، و«الرسول ﷺ» وأربعة عشر كتابا أخرى، وقد استوطن عام ١٩١٨م أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عاش مع قوم من الرحل البدو المسلمين، يصلون ويصومون ويذكرون

الله، يقول عن بعض مشاهده وهو معهم: هبت ذات يوم عاصفة عاتية، حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادى الرون فى فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسى يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، فأحسست من فرط الغيظ كأننى مدفوع إلى الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقًا، فقد هزوا أكتافهم وقالوا: قضاء مكتوب. واندفعوا إلى العمل بنشاط، وقال رئيس القبيلة الشيخ: لم نفقد الشىء الكثير، فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شىء ولكن الحمد لله وشكرًا، فإن لدينا نحو أربعين فى المائة من ماشيتنا، وفى استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد.

وثمة حادثة أخرى.. فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يومًا فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسى استحضار إطار احتياطى، وتولانى الغضب، وانتابنى القلق والهم، وسألت صحبى من الأعراب: ماذا عسى أن نفعل؟ فذكَّرونى بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدى فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق، ومن ثم درجت بنا السيارة وهى تجرى على ثلاثة إطارات ليس إلا، لكنها ما لبثت أن كفت عن السير، وعلمت أن البنزين قد نفد، وهناك أيضًا لم تثر ثائرة أحد من رفاقى الأعراب، ولا فارقهم هدوءهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيرًا على الأقدام، وهم يترنمون بالغناء!

وخلاصة القول: إننى بعد انقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتى الصحراء، ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التى لا حيلة لى فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التى اكتسبتها من العرب فى تهدئة أعصابى أكثر ما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير ا.هـ[١].

من ثمرات الورع

قال ﷺ - كما فى الصحيحين - : «اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب، فقال الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع الذهب. وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل، فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام. وقال الآخر لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقا» (متفق عليه).

ولا شك أن أول شيء نلاحظه فى هذين الرجلين هو الورع والتقوى والحرص على البعد عن المال الحرام. وهذا أمر نادر فى زماننا ومع ذلك فإن من يسلك مسلك هذين الرجلين فإنه يجنى ثمار الورع فى الدنيا والآخرة ويرى البركة فى كل شيء حوله؛ لأن الطاعة لا تجلب للإنسان إلا الخير دائمًا.

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٠ - ٤٢٢) بتصرف.

أمن يجيب المضطر إذا دعاه

روى أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار يكنى أبا معلق كان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره يسير به فى الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا فخرج مرة فلقيه لص مقنع معه سلاح، فقال له اللص: ضع ما معك فإنى قاتلك.

قال: فما تريد إلا دمى فشأنك والمال. قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك. قال: أما إذا أبيت فدعنى أصلى أربع ركعات. قال اللص ما شئت، فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بعزك الذى لا يرام وبملكك الذى لا يضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات. فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله. ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم فقال التاجر: من أنت بأبى أنت وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم. فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله أن يولينى قتله. قال الحسن: فمن توضأ

وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبًا كان أو غير مكروب.

هكذا تفعل الدنيا بأهلها

قال وهب بن منبه: خرج عيسى (عليه السلام) يسيح فى الأرض فصحبه يهودى وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم. فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم. فقام إلى الصلاة. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلما أتم عيسى قدما طعامهما، فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا، ثم انطلقا فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل. فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم. فمس بصره ودعا الله له فأبصر. فقال عيسى لليهودى: بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فسكت عيسى عنه، فمرا بظباء ترعى فدعا عيسى ـ عليه السلام ـ ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبى: قم بإذن الله فقام فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى

جاوزاه، فقال الرجل: سبحان الله فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى - عليه السلام: - واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى. فقال عيسى هى لك كلها وفارقه فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فذهب أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا، قال الآخر: نعم: قال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سماً فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

ولقد حذرنا النبى ﷺ: من أن تتعلق قلوبنا بالدنيا فقال ﷺ: فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم (متفق عليه).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله. فقال: «إن مما أخاف عليكم من

بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» (متفق عليه).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» (أخرجه مسلم).

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (صحيح الجامع: ٩٢٢).

وعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه، ما سقى كافرًا منها شربة ماء» (صحيح الجامع: ٥٢٩٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا» (صحيح الجامع: ٣٤١٤).

وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (صحيح الجامع: ٦٠٤٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «قد افلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» (أخرجه مسلم).

الإحسان إلى الناس من أسباب السعادة

إن الإحسان إلى الناس من أعظم أسباب السعادة.. وحسبك أن تتأمل معى قوله تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، فقال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؛ أما علمت أنك لو أطعمته فلوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى» (أخرجه مسلم).

وكان ابن المبارك له جار يهودى، فكان يبدأ فيطعم اليهودى قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهودى: بعنا دارك. قال: دارى بألفى دينار، ألف قيمتها، وألف جوار ابن المبارك! فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: اللهم اهده إلى الإسلام.

فأسلم بإذن الله!

ومر ابن المبارك حاجًا بقافلة، فرأى امرأة أخذت غرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل فى إثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يلقى بها. فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة فى القرية، وعاد وترك حجته تلك السنة، فرأى فى منامه قائلاً يقول: حج مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور.

وعاد إلى أمه الحنون

يقول أحدهم.. مات والدى وأنا صغير فأشرفت أمى على رعايتى، عملت خادمة فى البيوت حتى تستطيع أن تصرف علىّ، فقد كنت وحيدها، أدخلتنى المدرسة وتعلمت حتى انتهيت من الدراسة الجامعية كنت بارًا بها، وجاءت بعثتى إلى الخارج فودعتنى أمى والدموع تملا عينيها وهى تقول لى انتبه يا ولدى على نفسك ولا تقطعنى من أخبارك، أرسل لى رسائل حتى أطمئن على صحتك، أكملت تعليمى بعد زمن طويل، ورجعت شخصًا آخر قد أثرت فى الحضارة الغربية، رأيت فى الدين تخلفًا ورجعية، وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية وتحصلت على وظيفة عالية، وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدتى قد اختارت لى فتاة متدينة محافظة، ولكنى أبيت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة، لأنى كنت أحلم بالحياة (الارستقراطية) كما يقولون، وخلال ستة أشهر

من زواجي كانت زوجتي تكيد لأمي حتى كرهت والدتي، وفي يوم من الأيام، دخلت البيت وإذا بزوجتي تبكي، فسألتها عن السبب فقالت لي: شوف يا أنا يا أمك في هذا البيت، لا أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك!! جن جنوني وطردت أمي من البيت في لحظة غضب، فخرجت وهي تبكي وتقول: أسعدك الله يا ولدي.

وبعد ساعات خرجت أبحث عنها ولكن بلافائدة رجعت إلى البيت، واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تنسيني تلك الأم الغالية الفاضلة، انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أصبت خلالها بمرض خبيث، دخلت على إثره المستشفى، وعلمت أمي بالخبر، فجاءت تزورني وكانت زوجتي عندي وقبل أن تدخل علي طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا، ماذا تريدين منا؟ اذهبي عنا، رجعت أمي من حيث أتت!! وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتي النفسية، وفقدت الوظيفة وتراكمت علي الديون، وكل ذلك بسبب زوجتي، فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة، وفي آخر المطاف أنكرت زوجتي الجميل وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان في المجتمع، فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك، طلقني، كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسي، وطلقتها بالفعل فاستيقظت من السبات الذي كنت فيه، خرجت أهيم على وجهي أبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها، ولكن

أين وجدتها؟ كانت تقبع فى إحدى الأربطة تأكل من صدقات المحسنين!! دخلت عليها، وجدتها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة، وما إن رأيتها حتى ألقيت بنفسى عند رجليها وبكيت بكاءً مرًا. فما كان منها إلا أن شاركتنى البكاء بقينا على هذه الحالة ساعة كاملة، بعدها أخذتها إلى البيت وعاهدت نفسى أن أكون طائعًا لها، وقبل ذلك أكون متبعًا لأوامر الله مجتنبًا لنواهيه، وها أنا الآن أعيش أحلى أيامى وأجملها مع حبيبة العمر أمى، انتهت القصة!!

أرأيتم ماذا يفعل العقوق، حيث وصل بهذا الشاب أن طرد أمه من البيت الذى تسكنه، وذلك لأنه لم يتبع أمر الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة المتدينة حين قال ﷺ : «تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه).

والعقوق من الكبائر قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤).

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم : «أى الأعمال أفضل قال: الصلاة لوقتها، قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله» (متفق عليه).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» (رواه البخارى)[١].

رجل يشترى نفسه من الله

إن على المؤمن أن يدعو إلى الله (جل وعلا) فى كل وقت وحين، فإنه لا يدرى لعل الله ينفع الناس بكلمة صادقة خرجت منه.

عن أبى نعيم الحافظ، قال: كان سبب إقبال حبيب أبى محمد على الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن، فوقعت موعظته فى قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه، ثقة بالله ومكتفيًا بضمانه، فاشترى نفسه من الله، فتصدق بأربعين ألف درهم فى أربع دفعات، تصدق بعشرة آلاف درهم فى أول النهار، فقال: يا رب، قد اشتريت نفسى منك بهذا، ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى، وقال: هذه شكرًا لما وفقتنى له،

(١) قصص وآثار (ص: ٣٤ ـ ٣٧) بتصرف.

ثم أخرج عشرة آلاف أخرى؛ وقال: يا رب؛ إن لم تقبل منى الأولى والثانية فاقبل منى هذه، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب، إن قبلت منى الثالثة فهذه شكرًا لها[1].

نعمة الرضا بقضاء الله

إن من أعظم وأجلّ النعم: الرضا بقضاء الله

قال ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار» (صحيح الجامع: ٥٢٤٤).

وقال بعضهم: ما أبالى على أى الراحلتين ركبت، إن كان الفقر لهو الصبر، وإن كان الغنى لهو الشكر.

ومات لأبى ذؤيب الهذلى ثمانية من الأبناء بالطاعون فى عام واحد، فماذا عسى أن يقول؟ إنه آمن وسلم وأذعن لقضاء ربه، وقال:

وتجلدى للشامتين أريهمو ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

---

(١) التوابين (ص: ٢٠١).

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وفقد ابن عباس بصره فقال ـ معزيًا نفسه ـ:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما
ففى فؤادى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى عوج
وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وهو التسلى بما عنده من النعم الكثيرة إذا فقد القليل منها.

وبترت رجل عروة بن الزبير، ومات ابنه فى يوم واحد، فقال: اللهم لك الحمد، إن كنت أخذت فقد أعطيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت، منحتنى أربعة أعضاء، وأخذت عضوًا واحدًا، ومنحتنى أربعة أبناء وأخذت ابنًا واحدًا.

احذروا من النميمة

رُوى أن رجلاً رأى غلامًا يباع وليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام خذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم. وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء زوجها وقال له: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت

لها صديقًا ومحبًا غيرك وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتظاهر بالنوم الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به وصدقه سيده، فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتظاهر بالنوم، فقال فى نفسه: والله لقد صدق الغلام، فلما وضعت الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموس منها وذبحها به، فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» (متفق عليه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان فى كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» (متفق عليه).

فاحذر يا أخى من السعى بين الناس بالنميمة فإن النميمة من أسباب عذاب القبر ومن أسباب حرمان العبد من دخول الجنة.

خمسة أشياء تبعدك عن معصية الله (جل وعلا)

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إنى مسرف على نفسى فأعرض علىَّ ما يكون زاجرًا لها. فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة. فقال الرجل - وكان متشوقًا

لسماع موعظته ـ : هات ما عندك يا إبراهيم. فقال: الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه. قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية. فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله. فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة، فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر (يعلم السر وأخفى) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه. قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة: فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة. قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا

إبراهيم، أنا استغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

الرجل على دين خليله

يقول التائب: كنت أتمايل طربًا، وأترنح يمنة ويسرة، وأصرخ بكل صوتى وأنا أتناول مع «الشلة» الكأس تلو الكأس، وأستمع إلى صوت «مايكل جاكسون» فى ذلك المكان الموبوء، المليء بالشياطين، الذى يسمونه «الديسكو».

كل ذلك فى بلد عربى، أهرب إليه كلما شجعنى صديق أو رفيق، فأصرف فيه مالى وصحتى، وأبتعد عن أولادى وأهلى، وأرتكب أعمالاً عندما أتذكرها ترتعد فرائصى، ويتملكنى شعور بالحزن والأسى، لكن تأثير الشيطان على كان أكبر من شعورى بالندم والتعب.

استمرت هذه الحال، وانطلق بى هوى النفس إلى أبعد من ذلك البلد العربى، وأصبحت من عشاق أكثر من عاصمة أوربية، وهناك أجد الفجور بشكل مكشوف وسهل ومرن.

وفى يوم من أيام أواخر شهر شعبان أشار علىَّ أحد الأصدقاء بأن نسافر إلى «بانكوك» وقد عرض على تذكرة مجانية، وإقامة مجانية أيضًا، ففرحت بذلك العرض، وحزمت حقائبى وغادرنا إلى «بانكوك» حيث عشت فيها انحلالاً لم أعشه طوال حياتى.

وفى ليلة حمراء اجتمعت أنا وصديقى فى أحد أماكن

الفجور، وفقدنا فى تلك الليلة عقولنا، حتى خرجنا ونحن نترنح، وفى طريقنا إلى الفندق الذى نسكن فيه أصيب صديقى بحالة إعياء شديدة، ولم أكن فى حالة عقلية تسمح لى بمساعدته، لكنى كنت أغالب نفسى، فأوقفت سيارة أجرة حملتنى إلى الفندق.

وفى الفندق. استدعى الطبيب على عجل، وأثناءها كان صديقى يتقيأ دمًا، فأفقت من حالتى الرثة، وجاء الطبيب ونقل صديقى إلى المستشفى، وبعد ثلاثة أيام من العلاج المركز عدنا إلى أهلينا وحالة صديقى الصحية تزداد سوءًا، وبعد يوم من وصولنا نقل إلى المستشفى، ولم يبق على دخول رمضان غير أربعة أيام.

وفى ذات مساء ذهبت لزيارة صديقى فى المستشفى، وقبل أن أصل إلى غرفته لاحظت حركة غريبة، والقسم الذى فيه صديقى «مقلوب» على رأسه، وقفت على الباب فإذا بصراخ وعويل.

لقد مات صاحبى لتوه بعد نزيف داخلى عنيف، فبكيت، وخرجت من المستشفى، وأنا أتخيل أننى أنا ذلك الإنسان الذى ضاعت حياته وانتهت فى غمضة عين، وشهقت بالبكاء وأنا أتوب إلى الله، وأنا أستقبل رمضان بالعبادة، والاعتكاف، والقيام، وقراءة القرآن، وقد خرجت من حياة الفسق والمجون إلى حياة شعرت فيها بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار،

وقد كنت بعيدًا عن ذلك أستمرئ المجون والفجور، حتى قضى صاحبى نحبه أمامى، فأسأل الله أن يتوب علىَّ[(١)].

أخى الحبيب: احرص على صحبة الصالحين الذين يأخذون بيديك إلى مرضاة الله (جل وعلا).. والذين يشفعون فيك يوم القيامة بعد أن يأذن لهم الحق (جل وعلا).

أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (صحيح الجامع: ٣٥٤٥).

روشتة سفيان الثورى

أهدى إليك أيها الأخ الحبيب تلك الروشتة من صيدلية الإمام الجليل سفيان الثورى (رحمه الله) فقد جاءه رجل يشكو إليه أنه مريض بمرض البعد عن الله، فقال له سفيان الثورى: يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع، ضع هذا كله فى إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن على المعصية، وصفه بمصفاة المراقبة له، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع ى، شفى مرض قلبك بإذن الله.

اجعل عملك خالصًا لله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩).

(١) العائدون إلى الله (ص: ١٦٢ ـ ١٦٣).

فاجعل عملك خالصًا لوجه الله ولا تنتظر شكرًا من البشر، ولا تغتم إذا جحد الناس إحسانك فأنت لا تريد الثواب إلا من الله.

قُتل شهداءُ بقندهار، فقال عمر للصحابة: من القتلى؟ فذكروا له الأسماء، فقالوا: وأُناس لا تعرفهم. فدمعَتْ عينا عمر، وقال: ولكنّ الله يعلمهم.

وأطعم أحد الصالحين رجلاً أعمى فالوذَجًا (من أفخر الأكلات)، فقال أهله: هذا الأعمى لا يدرى ماذا يأكل! فقال: لكنّ الله يدرى!

المؤمن يستمد قوته من إخلاصه لله (جل وعلا)

كانت هناك شجرة تعبد من دون الله فقام رجل مؤمن من بنى إسرائيل وأخذ فأسًا ليقطعها فلقيه إبليس فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع تلك الشجرة التى تعبد من دون الله. فقال له إبليس: لا تستطيع لأننى سأمنعك من ذلك، فقام الرجل العابد وضربه وطرحه أرضًا، وسار إلى الشجرة ليقطعها فاعترضه إبليس مرة ثانية فضربه العابد وطرحه أرضًا، فاعترضه إبليس للمرة الثالثة، وقال له: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قال: فمن أين لى ذلك؟ قال: أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى. قال:

كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل. فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان جئت أول مرة غضبًا لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين، فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سلطت عليك.

ومن هنا نعلم أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى فإن صاحبه لا ينتفع بثمرة هذا العمل فى الدنيا أو الآخرة، وأن العبد يستمد قوته من إيمانه بالله وإخلاص العمل له جل وعلا.

هكذا كان العلماء العاملون

لما اشتدت الجفوة بين المنذر بن سعيد والخليفة الناصر لدين الله نتيجة محاسبة المنذر له على إسرافه فى بناء مدينة الزهراء، أراد ولده الحكم أن يزيل ما وقع بينهما فاعتذر له عند الخليفة. فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرًا، ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية (أى القبة التى شيدها الناصر بالزهراء واتخذ قراميدها من فضة، وبعضها مغشى بالذهب، وجعل سقفها نوعين، صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة، يستلب الأبصار شعاعها) فلما قال له ولده ذلك أمر ففرشت بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته ووزرائه: أرأيتم أو سمعتم ملكًا كان قبلى صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: والله يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد فى هذا الشأن، فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكسًا رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء ما رأى. وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن

الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن، مع ما آتاك الله تعالى وفضلك به على المسلمين، حتى ينزلك منازل الكافرين فاقشعر الخليفة من قوله. وقال له: انظر ما تقول كيف أنزلنى الله منازلهم؟! فقال: نعم، أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا....﴾ (الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥) فوجم الخليفة ونكس رأسه مليًا، وجعلت دموعه تنحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر وقال له: جزاك الله خيرًا، وعن الدين خيرًا، فالذى قلت هو الحق، ثم قام من مجلسه وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد قراميدها ترابًا على صفة غيرها[١].

فبمر الحق كان العلماء العاملون يقرعون الخلفاء والحكام، فربما أفاق الحاكم من غفلته، وعاد إليه رشده ونزاهته، لأن الغالب أن هؤلاء الحكام ما كانوا يقصدون مخالفة الحق عنادًا واستكبارًا، وإن كان الأمر كذلك لازدادوا غيًا وفسادًا، ولكنهم كانوا يحكمون شرع الله عز وجل، ويدعون إليه، وقد يقع من بعض الحكام شيء من الظلم أو البغى غافلين، أو متغافلين، فإذا واجههم العلماء بالحق استفاقوا من غفلتهم، ورجعوا إلى الحق صاغرين. ونصح الحاكم عزيز لأن أكثر من يخالطونهم يوافقونهم على الخطأ والصواب، ولا يخلصون لهم النصيحة،

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

فمن هنا كانت هذه المواقف الإيمانية التى يدفع فيها الإيمان الصادق هؤلاء العلماء للجهر بكلمة الحق، فيهدى الله عز وجل بهم من يشاء، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

همة عالية

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى، فافتتح سورة النساء يسجلها[٢] فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد» . فأخذ عبد الله فى الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سل تعط» فكان فيما سأل: «اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنان الخلد» فأتى عمر عبد الله يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا فقد سبقه، فقال: إنك لسباق بالخير» (رواه أحمد بإسناد حسن).

وهكذا كان أصحاب الرسول ﷺ يتسابقون إلى كل خير وإلى كل طاعة فقد علموا أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأنها ميدان فسيح يتسابق فيه الصالحون للفوز بالمغفرة والرضوان وجنة الرحيم الرحمن (جل وعلا).

وتأمل معى هذا المثال لتعلم كيف كانت همتهم.. فلقد كان رسول الله ﷺ جالسًا بين أصحابه فقال لهم «من أصبح

(١) مواقف إيمانية. أحمد فريد (ص: ١٥٢ ـ ١٥٣).
(٢) أى: يقرؤها قراءة مفصلة.

منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة»؟ قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (أخرجه مسلم) فتأمل كيف أن أبا بكر رضي الله عنه كان حريصًا على كل ما يقربه إلى الله جل وعلا.

أمنية غالية

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال له يوم أحد: ألا تدعو الله؟ فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديدًا بأسه شديدًا حرده أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه، حتى أقتله وآخذ سلبه، فأمَّن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديدًا حرده شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ فتقول: صدقت. قال سعد: يا بني، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط.

وأخرج البخاري عن أسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

وأخرجه الإسماعيلى عن حفصة ﷺ قالت: سمعت عمر ﷺ يقول: «اللهم قتلاً فى سبيلك، ووفاة ببلد نبيك ﷺ قالت: فقلت: وأنى يكون هذا؟ قال: يأتى به الله إذا شاء».

أرأيت أيها الأخ الحبيب كيف كانت قلوب أصحاب النبى ﷺ متعلقة بالآخرة... فهم لا يريدون شيئًا من حطام الدنيا الزائل؛ لأن النبى ﷺ أخبرهم بأن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وبأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، وأن المؤمن سينسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).. فجعلوا همهم الأكبر فى الفوز بالجنان ورضوان الرحيم الرحمن (جل وعلا).

عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء

حكى أن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا. قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

(الأول): عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

(والثانى): زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

(الثالث): قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

(الرابع): أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.

(الخامس): قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.

(السادس): قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

(السابع): قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

(الثامن): قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

(التاسع): انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

(العاشر): دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

اتقوا دعوة المظلوم

قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين» (صحيح الجامع: ١١٧).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة» (صحيح الجامع: ١١٨).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب» (صحيح الجامع: ١١٩).

وتأمل معى أخى الحبيب هذه القصة العجيبة:

خرج أحد الصيادين صبيحة يومه يطلب رزقًا حلالاً، فرمى شبكته فلم يخرج شيئًا، فأخذ يبتهل إلى الله فأولاده يصرخون جوعًا فى بيته، واقتربت الشمس من المغيب، فرزقه الله سمكة ضخمة، فحمد الله تعالى وأخذها مسرورًا إلى بيته، وإذا بملك قد خرج للنزهة فرآه فأحضره، وعلم ما معه، فأعجبته السمكة

فأخذها عنوة، وذهب إلى قصره، فأراد أن يدخل سرورًا على الملكة فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أصبعه، فلم يسترح ليلته ولم ينم، فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه، ولكنه لم يسترح بعدها؛ لأن السم كان قد تسرب إلى يده فأشاروا بقطع يده، ولكنه لم يسترح أيضًا بل أخذ يصرخ ويستغيث، فأشاروا بقطع ذراعه فاستراح من الآلام الجسدية ولم تهدأ نفسه، فعلم الأمر فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب (العلماء الحكماء) فذهب وأخبره قصة السمكة فقال له: لن تهدأ إلا إذا عفى عنك الصياد، فبحث الملك عن الصياد حتى وجده، وشكى إليه أمره، واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه، وصفح فقال له الملك: ماذا قلت في؟ فقال: ما قلت سوى كلمة واحدة: «اللهم إنه أظهر عليّ قوته فأرنى فيه قدرتك».

فاحذر يا أخى من ظلم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام

قال ﷺ «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار» (متفق عليه).

فالأرملة التى توفى عنها زوجها وترك لها أولادًا يتامى قد تجرعوا غصص اليتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يد حانية تمتد لتمسح جراحاتهم من على صفحات قلوبهم المنكسرة ومن هذا المنطلق حث النبى ﷺ أصحاب القلوب

الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى، ومن أجل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجها. فمن سعى عليها وعلى أولادها فهو كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل ليناجى ربه، وهو كذلك كالذى يصوم النهار، فأين أصحاب العقول، وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجمعين، جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له. وقالت: أنا امرأة مسلمة ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم، فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، فأعرض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا،

وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها، وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله، أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: «لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم»: فانتبه الرجل حزينًا على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دل عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة المسلمة الشريفة وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى. قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلى. فقال: لا أفعل. لابد منهن. فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى. أتدل على بالإسلام؟ فو الله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: «المرأة وبناتها عندك» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «القصر لك، ولأهل دارك،

وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل»، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا(١).

فاحرص أخى الحبيب على الإحسان إلى اليتامى والأرامل لتفوز بصحبة النبى ﷺ فى الجنة.

قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى - وفرج بينهما» (أخرجه البخارى).

وفى رواية: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة، والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله» (أخرجه مسلم).

ثمرة الأمانة

من صبر على شىء لله عوضه الله خيرًا منه. يروى مشايخنا أن طالبًا من طلاب الأزهر قدم من بلاد الصعيد، فجلس فى حلقة شيخه، وتأخرت نفقته من الصعيد، ففارق حلقة الشيخ عساه يحصل كسيرات من الخبز ولقيمات يقتات بها ويتقوى عليها، فبينا هو يسير إذ دخل فى شارع ضيق، فوجد بابًا مفتوحًا، ووجد خزانة من طعام، فمد يده إلى الطعام، وكان من المحشى، ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها فى فمه

---

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١ - ١٢٢).

تذكر أنه جاء ليطلب العلم، والعلم نور، والأكل من هذا الطعام دون أن يستحل صاحبه يظلم القلب، ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة، وسيطرد أحدهما الآخر، فترك هذا الطعام، وعاد لحلقة شيخه وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله، وبعد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتى، وتكلم الشيخ كلامًا لم يفهمه الحاضرون، ثم قال الشيخ لطالب العلم هذا: يا عبد الله، ألك رغبة فى الزواج؟ فقال: أتهزأ بى، والله من ثلاثة أيام ما دخل جوفى طعام، فكيف أتزوج؟ قال الشيخ: إن هذه المرأة تذكر أن زوجها توفى، وترك بنتًا واحدة، وكان ذا ثروة ومال كثير، وتريد أن يتزوج ابنتها رجل صالح يعيش معها ومع ابنتها، وينمى المال ويرعاه، فقال: إن كان كذلك فلا بأس، فخرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسيرون حتى دخلوا البيت الذى دخله هذا الشاب من قبل، فلما وضع الطعام بكى هذا الشاب، فقال له الشيخ: لم تبكى؟ هل أكرهناك على الزواج؟ قال: لا، ولكنى قبل سويعات دخلت هذا البيت لآكل من هذا الطعام الذى وضع بين أيدينا، فتذكرت أنه حرام فتركته لله فأعاده الله إلىّ ومعه غيره عن طريق الحلال ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

قال القاضى أبوبكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزار الأنصارى المتوفى سنة (٥٣٥هـ) ببغداد.

كنت مجاورًا بمكة حرسها الله تعالى، فأصابنى يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عنى الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا فأخذته وجئت به إلى بيتى، فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادى عليه، ومعه خرقة فيها خمس مائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فانتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلى، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فأعطانى علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذى هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلى خمس مائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب على أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءًا، فقال لى: لا بد أن تأخذ وألح على كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى، فإنى خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلى وقال: علمنى القرآن، فحصل لى من أولئك القوم شىء كثير من المال.

ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شىء كثير، فقالوا لى بعد ذلك، عندنا صبية يتيمة، ولها شىء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بد، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلى مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا فى عنقها، فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت فى الدنيا مسلمًا أفضل من هذا الذى رد على هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى، والآن قد حصلت، فبقيت معها مدة، ورزقت منها بولدين.

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال.

إنه درس عظيم: أنه من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

الدعاء بصالح الأعمال عند الشدائد

قال ﷺ: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى، وفى رواية: «كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها»، وفى رواية: «فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى، وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج

منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلى أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (متفق عليه).

هذه القصة ترشدنا إلى سبيل الخلاص عندما تحيط بنا الكربات، وينقطع حبل الرجاء من العباد، ففى هذه الأحوال هناك باب من لا ينقطع منه الرجاء، فهو حاضر أبدًا، وقادر أبدًا، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ فى هذا الحديث بقصة أصحاب الغار الذين وقعت صخرة على فم غارهم فأغلقته، فتوسل كل واحد منهم إلى ربه بأرجى عمل عمله، ودعا الله به، فاستجاب الله دعاءهم، وكشف بلاءهم، وفرج كربهم.

فأين عملك الصالح (أخى الحبيب) الذى تعده ليوم الشدائد؟

كلمات على فراش الموت

قيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٤) ثم مات.

ولما حضرت معاذًا ﷺ الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه، فقال: بل واطرباه، غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وحكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩).

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى (الموت) واضحة جلية جلاء الشمس فى رابعة النهار.

بل هذا الإمام ابن الجوزى يبكى عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ألست قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إننى أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحق على قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الزمر: ٤٧ ـ ٤٨).

ثم قال: ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدى أكثر من مائتى نفس.

وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل. ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نجونا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت على بالعذاب غدًا فلا تعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلا يقولوا: عذَّب الله من دل عليه[1].

وأخيرًا

فإننى أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا الصدق والإخلاص فى القول والعمل وأن يوقظ قلوبنا من غفلتها وأن يجعل قلوبنا وجوارحنا تنقاد لطاعته ومرضاته والعمل لنصرة دينه.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

فهرس الكتاب

الموضــوع	الصفحة